المحاضرة السابعة: تاريخ العلوم الإنسانية (الأدب، التاريخ وعلم الاجتماع الجغرافيا والرحلات) في الغرب الاسلامي:

مقدمة:

إنّ المتتبع لحركة العلوم الانسانية والأدبية في بلاد المغرب،سيلحظ أنّ الاهتمام بها قد تأخر لفترة طويلة نسبيا،لكنّه سيلحظ أيضا أنّ الاهتمام أخذ حقه فيما بعد،فانبعثت نهضة أدبية،ازدهرت وتطورت،بل بلغت من الازدهار حدا جعلها تحتل مكانا مرموقا في مسيرة تطور العلوم وازدهارها في بلاد المغرب بصفة عامة.

إنّ تأخر الاهتمام بالدراسات الانسانية والأدبية عموما في بلاد المغرب،يعود أساسا إلى جهود الفاتحين في نشر الاسلام واللغة العربية بين البربر،وعلى عظم الدور العلمي الذي أدته مدينة القيروان منذ تأسيسها،وعلى جهود البعثات العلمية،سواء كانت رسمية أو فردية،في نشر الاسلام واللغة العربية بين السكان،فإنّ العلوم الانسانية والأدبية لم يقدر لها البروز والظهور آنذاك،فقد انتشرت فعلا اللغة بين أكثر من أسلم من البربر،وذلك نتيجة لجهود الفاتحين والولاة،لأنّها لغة العبادات،ولغة التخاطب والوظائف.

لكن نجاح حركة الأسلمة والتعريب ونشاط الفاتحين،كان يوحي لنا الازدهار المبكر للحركة الأدبية،لكنّ الأحداث التي عرفتها المنطقة مطلع القرن الثاني،من ثورات البربر ،وحركة انتشار المذاهب،جاءت لتؤخر نهضة أدبية في بلاد المغرب،إضافة إلى الإهتمام بالدراسات الشرعية على حساب الأدبية،لكنّ الأدب ،وعلم التاريخ وكذا الرحلات،والجغرافيا في بلاد المغرب،عرفت نشاطا منذ عهد الدولة الأغلبية.

1– الأدب:

لقد شهدت الدولة الاغلبية والرستمية نهضة أدبية كبيرة، ومن العوامل الأساسية في هذه النهضة أن الأمراء الأغالبة كان لهم مجال واسع في الاهتمام بالأدب ورعاية أهله.

فقد كان للامير الأغلبي إبراهيم بن الأغلب شعرا في الفخر[1]، ولبكر بن حماد مدح جميل لأحمد بن القاسم بن إدريس، أحد ولاة الأدارسة على مدينة البُصرة[2]، كما يمتاز شعره بالبساطة والالفاظ السهلة مع قلة الصور البيانية، غلب عليه طابع الزهد[3].

---

1) أحمد أمين : ظهر الاسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1966، ج1، ص302.

2) هي مدينة في المغرب تقع بين طنجة وفاس، بينها وبين فاس ثلاث مراحل، وهي تعرف بتجارة الكتان.الحميري: المصدرالسابق، ص108-108.

3) عبد الله شريط و محمد مبارك الميلي: مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص84.

وأمان بن الصمصامة بن الطرماح بن حكيم بن الحكم(ت125هـ/743م) قدم من العراق واستقر في القيروان وهو لغوي مخضرم عاش في عصر الولاة وأدرك عصر الاغالبة اشتهر بتفقهه في علوم اللغة والشعر[1].

وعبد الله بن أبي حسان اليحصبي(ت226هـ/841م) وهو من أشراف العرب الوافدين إلى إفريقية ،كان عالما لغويا سكن حارة يحصب في القيروان فنسب اليها تلقى النحو من سيبويه والكسائي[2].

وكذلك من الاسماء التي برزت في هذا الباب **خالد بن يزيد كاتب يوسف الفهري** الذي تولى الكتابة لعبد الرحمن الداخل لما تغلب على الاندلس، أما الشخصية التي كانت أكثر شهرة في فن النثر فهو **أبو عبد الله محمد بن سعيد الزجال(ت232هـ/846م)**[3] والذي تولى الكتابة لعبد الرحمن بن الحكم(238-260هـ/822-852م)[4].

أما في النثر فقد برز فيه عدة أدباء ولغويين منهم **عبد الملك بن قطن المهري(ت 255هـ/869م)** الذي اشتهر بقوة البيان ومحاكاته لأسلوب الجاحظ[5]. **وأبو العباس محمد بن حيون المعروف بالبريدي(ت276هـ/889م)**، والذي يعد من أبرز الشخصيات الادبية في النثر، حيث كان أحد كتاب الدولة الاغلبية، إذ كتب للامير إبراهيم الثاني[6].

وأبو جعفر أحمد بن داود الربعي المدعو الصواف القيرواني(ت291هـ/904م) وهو أحد تلاميذ سحنون كان له ذوق أدبي في نظم الشعر فضلا على كونه فقيها[7].

و **أبو عبد الله محمد بن زرزر(ت291هـ/903م)**: وهو أحد طلبة سحنون كان من الشعراء الزهاد عرف بقوة الحفظ وجودة شعره الذي سخره للدفاع عن العقيدة بالرد على الزنادقة[8]، كما عثر على

1) رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968، ص106.

2) محمد بن محمد مخلوف: شجرة النو إركية، ص63.

3) هو أبو عبد الله محمد وارشكين بن سعيد بن موسى الزجالي النفزي من قبيلة نفزة توفي بقرطبة سنة 232هـ/846م كان يلقب بالأصمعي لقوة حفظه وحدة ذكائه ، وقد بلغت أسرته مكانة كبيرة أدبيا وسياسيا في قرطبة.**ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الاندلس، تحقيق محمود علي مكي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة إحياء التراث الاسلامي، القاهرة، 1994، ص170-171.**

4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص151.

5) رابح بونار: المرجع السابق، ص103.

6) محمد عليلي: المرجع السابق، ص377.

7) المالكي: رياض النفوس، ج1، ص508؛ **والدباغ: معالم الايمان، ج2، ص212.**

8) الدباغ: معالم الايمان، ج2، ص248.

بعض الأبيات الشعرية لادريس الثاني في العتاب[1]، ومن شعراء الاندلس المشهورين سعيد بن جودي (ت284هـ/897م) نظم قصيدة غزلية موصوفة بالحب العذري[2].

ويهود بن قريش التاهرتي عاش في القرن الرابع الهجري، كان شخصية لغوية بارزة عند الرستميين فقد كان يتقن عدة لغات منها العبرية والفارسية والعربية والبربرية والارامية مما جله عاما في هذا الميدان[3].

والشيخ أبو سهل الفارسي النفوسي(عاش في القرن3هـ/9م):وهو من البيت الرستمي كان أفصح أهل زمانه في اللسان البربري والعربي وقد تولى الترجمة للامامين أفلح بن عبد الوهاب وأبي حاتم يوسف[4].

والامام أبو عبيدة الاعرج(تاريخ وفاته مجهول) كان له المام كبير باللغة والنحو الى جانب فقه الكلام وكان من بين تلامذته ابن الصغير[5].

أما في أندلس هذه الفترة فقد نبغ فيها الغازي بن قيس(ت199هـ/814م) الذي يعد فقيها ومقرئا ولغويا بارعا، إتخذه الأمراء الأمويون مؤدبا لأبنائهم أدرك الاصمعي في المشرق[6]، إضافة الى أحد وجوه اللغة في الاندلس وهو **أحمد بن محمد بن عبد ربه(ت328هـ/940م)** صاحب كتاب" العقد الفريدّ فيه حديث في كل العلوم والفنون[7]، ومذلك أبو علي القالي(ت356هـ/967م) الذي ألف كتاب"نوادر اللغة" وألف كتاب "الأمالي" و "البارع في اللغة"[8].

2–علم التاريخ:

يبدوا أن الانتاج الفكري في هذا النوع من العلوم كان قليل في بدايته، كما ارتبط بالمغازي والسير ولم يتخلص من السرد القصصي المتعلق بالانساب وأخبار العرب، ويعد **إسحاق بن أبي عبد الملك الملشوني** "من ملشونة"[9]، من بين الذين اشتهروا بممارسة الكتابة التاريخية كان عالما بالتاريخ أخذ عن

1) ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2009، ج1، ص130.

2) محمد عليلي: المرجع السابق، ص373.

3) رابح بونار: المرجع السابق، ص91.

4) الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص450.

5) ابن الصغير: المصدر السابق، ص96.

6) خزعل ياسين مصطفى: بنو أمية في الاندلس ودورهم في الحياة العامة(138-422م/7551030م) رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، العراق، 2004، ص115.

7) النخل بالنثيا: المرجع السابق، ص172.

8) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي، دار الجيل، بيروت، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1996، ج3، 363.

9) قرية من قرى بسكرة وهي اليوم تحمل اسم مشونش. **اسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص183**.

الامام سحنون وقد روى عن تاريخ القيروان وعقبة بن نافع، لذا كان أمراء الاغالبة يستقدمونه في مجالسهم للمسامرة خاصة في شهر رمضان[1].

بعد الكتابات الأولى حول بلاد المغرب من طرف إخباريي المشرق خلال العصر العباسي الأول، تراجع الاهتمام المشرقي بما دار في المغرب الإسلامي، نتيجة تفكك وحدة دار الإسلام واضمحلال قوة الخلافة بما هي مؤسسة جامعة للأمة الإسلامية. وقد قامت في بلاد المغرب عدة دويلات مستقلة عنها.

فقدمت بلاد المغرب انتاجا فكريا مهما في الدراسات التاريخية عبر ما قدمه مؤرخو القرن الثالث الهجري وما بعده[2]، وهذا يبين تأخر الكتابة التاريخية المغاربية بسبب الفتح العربي المتأخر والطويل الذي استمر قرابة سبعين عاما أو ما ينيف عن ذلك، ولكن في الحقيقة كان هناك انتاج تاريخي ولكن كتبه فقدت في إطار الصراع المذهبي والسياسي[3].

فسار المغاربة والاندلوسيون على منهاج المشارقة من خلال انتاج كتب الحديث ورواياته ومنها مساهمة تاريخية لقاضي إفريقية الشهير عبد الرحمن بن زياد (ت. 161 هـ/ 778 م)، الذي ألف كتاباً عن فتوح إفريقية ليضفي على هذه المرحلة طابع التأثر بالكتابات المشرقية في مجال كتابة التاريخ. كعبد الملك بن حبيب (174 – 238 هـ / 790 – 852 م4. كانت له رحلة إلى الحجاز ومصر، وتأثر بالمحدثين والفقهاء في كتابة تاريخه، وكان أغلب مؤرخي هذا القرن من من الأمراء أو القضاة أو الفقهاء، فمن الامراء المؤرخ عيسى بن أبي المهاجر(ت250هـ/864م) الذي كان حفيد والي إفريقية أبو المهاجر دينار(62-55هـ/674م)، وهو أول من ألف في فتوح إفريقية في بلاد المغرب سماه"مغازي إفريقية" ويعتبر هذا الكتاب من المؤلفات الضائعة، وكل ما نعرف عنه أنه كان موجوداً في القرن الرابع الهجري؛ وقد استفاد منه أبو العرب محمد بن أحمد التميمي. وتاريخ كتابة هذا التأليف هو النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. وفيه يبرز جلياً تأثير الفنون التاريخية ببلاد المشرق في إرساء قواعد الفكر التاريخي ببلاد المغرب والذي تميز بالاهتمام بالفتوح[5].

---

1) محمد عليلي: المرجع السابق، ص389.

2) عبد المنعم محمد عباس: الحياة الفكرية بالمغرب الأدنى والأندلس في القرنين الثالث والرابع الهجريين، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، 2005، ص335.

3) محمود اسماعيل: الفكر التاريخي في الغرب الاسلامي، منشورات الزمان، الرباط، 2000، ص18.

4) و عبد الملك بن حبيب السلمي، كان بإلبيرة، وسكن قرطبة، ويعد أول مؤرخي الأندلس، وله رحلة إلى المشرق، وكان عروضيًّا شاعرًا حافظًا للأخبار والأنساب. **انظر ترجمته في: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ق 1، ص 269: 272 ترجمة 861، الحميد: جذوة المقتبس، ص 282 ترجمة 628، الضبي: بغية الملتمس، ص 377 – 378 ترجمة 1063، المقري: نفح، ج2، ص 218.**

5) أبو العرب تميم: طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دت، ص120.

والامير محمد بن زيادة الله الأغلبي(ت282هـ/896م) الذي أسهم في الكتابة التاريخية أو ما يعرف بتاريخ السلالات لإنه كتب عن الاسرة الاغلبية، فهو ابن والي إفريقية وأمير طرابلس رغم عدم العثور على انتاجاته، إلا أن مصادر التراجم تشير الى انه كان أديبا ومؤرخا[1].

كما نجد هذا النوع من الكتابة التاريخية لدى ابن الصغير (ت. بعد 294 هـ/ 906 م)، وقد ألف كتاباً حول "أخبار الأئمة الرستميين"[2] قبل الفتح الفاطمي لتيهرت ببضع سنوات. وقبله بقليل كتب الإباضي ابن سلام اللواتي (ت. 273 هـ/ 886 م) "كتاب فيه بدأ الإسلام وشرائع الدين"[3] وهو نظرة إباضية لتاريخ الإسلام والمغرب حتى عهد المؤلف. إضافة إلى هؤلاء الإخباريين، نلاحظ ظهور تواريخ في شكل طبقات، مثلها على الخصوص كتاب "طبقات العلماء" (ضائع) للفقيه المالكي محمد بن سحنون (ت. 256 هـ/ 869 م).

كذلك يورد أبو العرب الكثير من أخبار الفتوح و ت ا رجم الفاتحين و الولاة و عمماء القيروان . عن كتاب مغازي إفريقيّة[4] كما اقتبس المؤرخ المغربي ابن عذارى في موسوعتو الشييرة" البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس و المغرب " عن كتاب المؤرخ عيسى سالف الذكر ، و ذلك في أخبار فتوح طارق بن زياد بالأندلس [5] مما يؤكد أنّ كتاب مغازي إفريقيّة ظل موجوداً حتى زمن ابن عذارى في القرن الثامن اليجري.

وهناك بعض مؤلفات تشير الى عناية بعض العلماء بالكتابة التاريخية عند الاغالبة ككتاب" تاريخ بني الاغلب"[6]، الذي ألفه الامير الاغلبي محمد بن زيادة الله الثاني[7]، وكتاب "أحمية الحصون" ليحي بن عمر(ت289هـ/902م)، وكتاب"الموالد والوفاة" لحسين بن المفرج(ت 303هـ/920م) [8].

كما تحتفظ لنا كتب التاريخ بأسماء شخصيات اعتبروا مؤرخين من أمثال الامام سحنون الذي كانت له اسهامات في التأليف التاريخي، منها كتابه"في التاريخ في ستة أجزاء"[9]، وكتاب طبقات العلماء في سبعة أجزاء"[1].

---

1) ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 2004، ص114.

2) تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

3) تحقيق فيرز شقارتز وسالم بن يعقوب، دار النشر فرانز، واسبادن، 1986.

4) الطبقات ، ص6 ، 12، 16.

5) ابن عذارى : البيان ،ج 2 ، ص6 -7

6) ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985، ج1، ص180.

7) محمد الطالبي: تراجم أغلبية، ص14.

8) محمد عليلي: المرجع السابق، ص389.

9) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الاسكندرية، د ت ، ج2، ص108.

وكذلك عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر(ت في القرن 3هـ/9م)، الذي ألف كتاب"فتوح افريقية"، على غرار فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم، وأبو سهل فرات بن محمد العبدي (ت292هـ/904م) وهو من الرواة الذين اهتموا بجمع أخبار الامم السابقة[2].

ومن الذين ألفوا في مجال التاريخ ولو أنهم عاشوا قليلا من العهد الاغلبي أبو العرب (ت333هـ/944م) الذي ألف كتاب" طبقات علماء إفريقية وتونس"[3].

كما صنف تاديوس ليفيتسكي في كتابه "المؤرخون الاباضيون في شمال إفريقيا" مجموعة من الاسماء الاباضية ممن اعتبرهم مؤرخون، منهم عبد الرحمن بن رستم الذي اعتبره راو متميز تدين له مجموعات الاخبار التاريخية الاباضية اللاحقة [4]، وعبد العزيز بن الأوز الذي دون رحلته الى المشرق لكنها ضاعت[5].

ويعتبر أقدم مؤرخ رستمي موسوعي هو لواب بن سلام بن عمرو(ت273هـ/886م) الذي سكن تاهرت سنة 240 هـ/854هـ وهو صاحب كتاب"شرائع الدين"[6]، وحسب ابراهيم حركات فإن عنوان الكتاب الكامل هو"كتاب فيه بدأ الاسلام وشرائع الدين ونكت من فضائل الصحابة المهتدين ولمع من أخبار الجبابرة المعتدين"[7].

ولايمكن أن ننسى شخصية ابن الصغير من خلال كتابه"أخبار الأئمة الرستميين" حيث كان شاهد عيان حيث ولد بتاهرت بين سنتي 265-270هـ وهو ينتسب للمذهب المالكي حسب روايات، وقد عاصر حكم الامام اليقضان بن أفلح(261-281هـ/874-894م) والامام أبو حاتم(281-294هـ/894-904م) [8].

كما يذكر إبراهيم حركات مؤرخا اسمه البرنوسي عاش في الدولة الادريسية، والذي يكون قد ألف كتابا في التاريخ، لكنه قيد ضمن الكتب المفقودة[9].

1) محمد الطالبي: تراجم أغلبية، ص14.

2) مقدمة محقق كتاب المالكي: رياض النفوس، ص14.

3)محمد عليلي: المرجع السابق، ص390.

4) تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الاباضيون، ترجمة ماهر جرار، وريما جرار، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص37.

5) نفسه، ص36.

6) ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، جمعية التراث القرارة، الجزائر، ط2، 1993، ص367-368.

7) ابراهيم حركات: مدخل الى تاريخ العلوم بالمغرب الاسلامي، حتى القرن 9هـ/15م ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ج1، ص378.

8) رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3، ص119.

9) إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص129.

أما في الاندلس فقد نبغ فيها عدة مؤرخين وكتاب منهم عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ/854م) امتاز بالطابع الموسوعي في جمع الاخبار والانساب، حتى سمي بعالم الاندلس، أهم كتله كتاب"التاريخ"[1].

ومحمد بن موسى الرازي الكناني(ت273هـ/886م) حيث كان تاجرا فربطته علاقة مع الامير الاغلبي إبراهيم بن أحمد (289-261هـ/875-902م) ثم دخل الاندلس في عهد الامير الاموي محمد بن عبد الرحمن (273-238هـ/866-852م) ألف كتابا سماه "كتاب الرايات" ضمنه تاريخ فتح الاندلس[2].

إضافة الى المؤرخ **أحمد بن محمد بن موسى الرازي(ت344هـ/955م)** ويكنى ابا بكر ويعد من المؤرخين المعدودين في الاندلس خلال هذه الفترة ولكثرة تآليفه في الأخبار والتواريخ لقب بالتاريخي، وقد ذكره الحميدي في جذوة المقتبس بهذا الاسم[3]، ومن أشهر كتبه "أخبار ملوك الاندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم[4].

3- علم الكلام[5]:

ارتبط علم الكلام في بدايته ببلاد المغرب بمسألة اسمها قضية خلق القرآن، والتي مفادها أن القرآن مخلوق، وأول من قال بهذه الفكرة هم المعتزلة لما بدأوا يخوضون في ذات الله وصفاته من مبدأ التوحيد الذي هو أصل جوهري من أصولهم الخمسة، وقد انتقلت هذه التيارات الفكرية الى إفريقية على غرار المذاهب والفرق التي تسللت الى بلاد المغرب في فترات مختلفة، كما وجد هذا التيار سند كبير من قبل بعض الأمراء الأغالبة الذين اعتنقوا أفكار المعتزلة وتبنوها، اقتداء بالخلفاء العباسيين، خاصة في عهد زيادة الله الأول(223-201هـ/817-838م) الذي قال بخلق القرآن تأسيا بالخليفة العباسي المأمون(218-189هـ/813-833م) [6].

---

1) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، د ت ، ص260.

2) يوسف أحمد يوسف بني ياسين: علم التاريخ في الاندلس حتى نهاية القرن 4 هـ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، الاردن، ومكتبة الدمام، المملكة العربية السعودية، ط1، 2002، ص151-155.

3) الحميدي: جذوة المقتبس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1999، ص105؛ **وياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق احسان عباس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ج1، ص472-473.**

4) أنخل بالنثيا: المرجع السابق، ص197.

5)من العلوم العقلية التي تنظر في القضايا العقدية، فهو علم يتعلق بأصول الدين، يعرف كذلك بعلم الاستدلال والنظر العقلي، وهو علم يتضمن الحجاج عن العقيدة الايمانية بالأدلة العقلية".**علي عبد الفتاح المغربي: الفرق الاسلامية الكلامية، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط2، 1995، ص11.**

6) بن حميدة عبد المجيد: المدارس الكلامية في إفريقية إلى ظهور الأشعرية، مطبعة دار العرب، تونس، ط1، 1986، ص50.

كان الامام سحنون أشد الناس إنكارا لفكرة خلق القرآن، مما جعله يتعرض لمحنة شديدة في عهد الامير أحمد بن الأغلب بسبب معارضته، وتصديه لمن يقول بخلق القرآن، وعكسه تعصب القاضي عبد الله بن أبي الجواد قاضي القيروان (ت232هـ/846-847م) لفكرة خلق القرآن[1].

لكن القول بفكرة خلق القرآن وحتى أفكار المعتزلة لم يكتب له النجاح في إفريقية رغم أن الامير الأغلبي أبا العباس عبد الله الثاني(290-289هـ/902-903م) حاول إحياءها مجددا في الأوساط الدينية[2].

كما لم تخلوا ساحة القيروان كذلك من المتكلمين الاباضيين ومن الذين اشتهروا بالمناظرات في الدولة الاغلبية العنبري الذي عاش في القرن3هـ/9م وقد تصدى لمناظرة فرق الخلاف وهي في الغالب من المعتزلة، وكانت مناظرات في حضرة الأمير الأغلبي زيادة الله الأول ومن بين المتكلمين الاباضيين سعيد الحدائي الذي عاش في نهاية القرن 3هـ/9م الذي له مناظرات في علم الكلام[3].

ولا يستبعد أن يكون أبا اليقضان قد تأثر بفكر المعتزلة وبالاساس فكرة خلق القرآن حينما رحل الى المشرق للحج فقبض عليه ووضع في السجن في خلافة الواثق، ولما تسلم الامامة في تاهرت أخذ على عاتقه الاهتمام بالمسائل الكلامية العقدية ومنها هذه المسألة[4]، ومن أشهر المتكلمين في العهد الرستمي هو مهدي النفوسي(ت196هـ/811م) عاش في عهد الامام عبد الوهاب[5].

ومتكلم آخر برع في المناظرات الكلامية هو عبد الله بن اللمطي الهواري عاش في أواخر القرن (3هـ/9م) وهو من علماء تاهرت عاصر الامام أبي اليقضان(281-261هـ/874-894م) اشتهر في الجدل والمناظرة والتأليف، له باع طويل في علم الكلام وكان يناظر المعتزلة الواصلية[6].

ومحمود بن بكر[7]. الذي عاصر هو الآخر أبا اليقضان، والذي تميز بالدفاع المستميت عن المذهب والتصدي للفرق، ومن المتكلمين أيضا عبد الله بن يزيد الفزاري عاش في القرن 3هـ/9م، له كتاب في علم الكلام بعنوان"الرد على الروافض"[1].

---

1) باجية صالح: الاباضية في الجريد في العصور الاسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1972، ص10؛ **والطالبي محمد: تراجم أغلبية، ص254**.

2) يوسف بن أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية، منذ اتمام الفتح حتى القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، مكة، 2000، ج2، ص14، 15، 25.

3)محمد عليلي: المرجع السابق، ص403-405.

4)ابن الصغير: المصدر السابق، ص65-66.

5)الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص299.

6)ابن الصغير: المصدر السابق، ص93-94.

7)محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص236

اما ماميز علم الكلام في الاندلس هو الامتزاج بالنزعة الفلسفية، ولكنه ازدهر في عهد ابن طفيل(ت580هـ/1185م) وابن رشد(ت595هـ/1198م)، ومن الأوائل الذين تأثروا بالاراء الاعتزالية في الاندلس أحمد بن عبد الله الحبيبي وأبو وهب عبد الله بن وهب القرطبي، وخليل بن عبد الملك المعروف بخليل الغفلة[2]، وكذلك الطبيب أبو بكر فرج بن سلام في أوائل القرن الثالث الهجري الموافق للقرن التاسع الميلادي[3].

ويعتبرمحمد بن عبد الله بن مسرة (ت319هـ/931م) رائد الفلسفة في الاندلس ومبدعي علم الكلام، فتعرض لمضايقات مذهبية وسياسية، كما تلبس بنوع من التصوف الفلسفي[4]، والف كتاب "التبصرة" وكتاب الحروف" في هذا العلم[5].

4–علم الاجتماع:

علم الاجتماع هو علم من العلوم الاجتماعية التي ترتبط بشكل أكبر بالعلوم الانسانية وتتداخل معها،وهو الدراسة العلمية للجماعات الانسانية والحياة الاجتماعية،وأنماط العلاقات البشرية دون الإهتمام بسلوك الأفراد أو الحالات الخاصة بالفرد،وقد عرف من ظهور الأفراد والجماعات،فعلم الإجتماع هو الدراسة العلمية للمجتمع،والنظم والعلاقات داخل المجتمعات[6].

ويرجع تاريخ نشأة علم الاجتماع إلى بداية التفكير في المسائل الاجتماعية إلى كتاب الجمهورية أو القوانين لأفلاطون،وكتاب السياسة لأرسطو ثمّ القديس"أوغسطين"،الذي حاول تبيين مزايا المدينة السماوية الخالية من الظلم والجشع والمفاسد،دون أن يبّين كيفية إقامة هذه المدينة فبقيت أفكاره مجرد أحلام[7].

وعند ظهور السلام وانتشاره في القرن السابع للميلادي،انتشرت معه آراء ومبادئ اجتماعية كان لها اسهام كبير في الفكر الاجتماعي بمختلف مجالاته التي وردت في القرآن والسنة النبوية،وبدأت الحضارة الإسلامية تعرف ظهور مفكرين وعلماء اجتماع استفادوا من الحضارات السابقة،مثل الفارابي (ت339هـ–950م)،الذي يسمى المعلم الثاني في علم الاجتماع بعد أرسطو،حيث اهتم الفارابي

1)محمد عليلي: المرجع السابق، ص408.

2)أنخل بلنثيا:المرجع السابق، ص325.

3)ميغيل كروز هيرناندیس: الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998، ص1090.

4)ميغيل كروز هيرناندیس: المرجع نفسه، ص1090.

5)محمد بركات البيلي: الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والاندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار المهضة العربية، القاهرة، مصر، 1993، ص179.

6) فهمي سليم الغزوي:مدخل إلى علم الاجتماع،دار الشروق،عمان،ط2 ،2004،ص:18.

7) الغزوي:مدخل إلى علم الاجتماع،ص:36.

بالمدينة الفاضلة،ورئيسها الذي يتصف بالحكمة وحفظ الشرائع،والبحث عن الخصال المثلى الروحية والفطرية التي لا تجتمع في أيّ انسان،بل يسعى علم الاجتماع لدراستها ومحاولة تشخيصها والوصول اليها،ولهذا نستطيع القول أنّ علم الاجتماع جاءت أفكاره ممتزجة بالفلسفة والتصوف.

وتتمثل الاسهامات السوسيولوجية للفارابي من خلال كتابه"آراء أهل المدينة الفاضلة" حيث تضمن الكتاب العديد من الآراء الاجتماعية التي ارتبطت بالفكر الاسلامي،وأسست لمبادئ علم الاجتماع في الاسلام،وقد اختلطت عليه هذه الآراء الاجتماعية بالكثير من الاراء الفلسفية والفقهية،خصوصا ما اتصل منها بالفلسفة اليونانية والاسلامية،إلّا أنّ هذه الأفكار التي جاء بها الفارابي قد تدل على اجتهاد سوسيولوجي مبكر اتجه نحو دراسة المجتمع والعمل على صلاحه،وفقا لأسس مثالية تزاوجت خلالها الفلسفة بالدين.

وفي الغرب الاسلامي ظهر علم الاجتماع وتطور على يد المؤرخ وعالم الاجتماع عبد الرحمن ابن خلدون(ت808هـ-1406م)،الذي نادى بضرورة إنشاء علم العمران البشري من خلال قوله "إنّ الاجتماع الانساني ضروري لأنّ قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحقيق حاجته،ومن ثمّ فتحصيل الحاجة يعد حجر الزاوية في الاجتماع الانساني[1]،وقد بدأ ابن خلدون تأسيسه لعلم الاجتماع،من خلال تحديده لموضوعات الدراسة في علم الاجتماع،عندما أكدّ أنّه يجب على المؤرخ أن يحصل على قدر من الثقافة من خلال دراسته لمختلف الظواهر الموجودة في المجتمع،لأنّ القانون في التمييز بين الحق والباطل يكمن في النظر في "الاجتماع البشري الذي هو العمران"[2]،وكان ابن خلدون أكثر تحديدا لميادين علم الاجتماع عندما قال أنّ المؤرخ يحتاج إلى "العلم بقواعد سياسة وطبائع الموجودات وإختلاف الأمم والبقاع والأمصار في سير الأخلاق والنحل وسائر الأحوال والقيام على أصول الدول والملل والمبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها"[3].

لقد كانت البداوة والحضارة وما بينهما من صراع أزلي هما محور النظرية الاجتماعية عند ابن خلدون،حيث نظر ابن خلدون في أحوال مجتمعه،فوجد الناس مستقطبين حول فئتين رئيسيتين وهما البدو والحضر،ووجد أنهما في تضاد مستمر،وأنّ كل تصرفات المجتمع وأحداثه ما هي إلّا نتاج لهذا التضاد بين هاتين الظاهرتين المتصارعتين دوما،ومن أبر ما جاءت به نظريات علم الإجتماع عند ابن خلدون،أنّ

1) الغزوي:المرجع نفسه،ص:36.

2)عبد الرحمن بن خلدون:المقدمة،تحقيق:عبد السلام الشدادي،الطبعة الخاصة،خزانة ابن خلدون،ط1 ،2005 ،الدار البيضاء،ج1 ،ص:67.

3) ابن خلدون:المقدمة، ج1 ،ص:46.

العصبية هي أساس البداوة،وأنّها لا تستقيم من غير وازع من سلطان أو دين –أي بالقهر– كما أنّ التفاعل بين البداوة والحضارة لا يتم في فراغ،وإنّما يتم داخل محتوى المجتمع أو الدولة[1].

أي أنّ ابن خلدون قد ركز على الأبعاد النظرية والعملية في التأسيس لفكر علم الاجتماع عن غيره من علوم الانسان والمجتمع،وأن لا يتأثر بآراء مسبقة أو يتخذ من الأساطير وآراء الآخرين،كما أكدّ على أهمية وصول عالم الاجتماع إلى صياغة القوانين التي تحكم العمران من خلال الملاحظة والتحليل والتفسير في إطار تاريخي،حتى نستطيع الوصول إلى القوانين التي تحكم المجتمع[2].

وقد ارتبط علم الاجتماع بابن خلدون في مختلف الدراسات الحديثة،الذي يقدم له تعريفا صريحا في قوله:"علم مستقل،فإنّه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني،وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته،واحدة بعد الأخرى،وهذا شان كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا"[3]،وخلاصة القول أنّ علم الاجتماع أو علم العمران البشري هو من تأسيس العلامة عبد الرحمن ابن خلدون (ت808هـ-1406م)،من خلال كتابه المقدمة وما حمله من أفكار تؤسس لعلم اجتماع يرتبط في محتواه بالبعد الاسلامي،حيث ذكر في مؤلفه القوانين التي تسير المجتمع،أو ما يعرف بعلم الإجتماع اليوم.

5– الجغرافيا والرحلات:

هذا وقد شقت الجغرافيا الاقليمية لنفسها طريقا إلى المغرب، ويمكن أن نشير في خلال القرن العاشر إلى محمد بن يوسف الوراق(ت363هـ/973م) الذي عاش في القيروان وقرطبة وأفرد لوصف المغرب كتابا يحمل العنوان المعهود"المسالك والممالك" ولم يصلنا هذا الكتاب سوى ما نقله لنا البكري[4]، وأول من أدخل نمط الجغرافيا الاقليمية إلى الاندلس مؤرخها الكبير أحمد بن محمد الرازي التاريخي(ت344هـ/955م) [5].

ويعد كتاب البكري[6]،"المغرب في ذكر بلاد المغرب"أغنى المصادر الجغرافية وأكثرها مادة غزيرة حول جغرافية بلاد المغرب رغم أنه لم يزره وكتب كتابه سنة461هـ/1068م، وجاء بعد البكري عدة

1)ادم رحمون:الاسهامات السوسيولوجية عند الفارابي وأبي حامد الغزالي واخوان الصفا وابن خلدون،مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية،جامعة الواد،عدد 18،اكتوبر 2016،ص ص:21.

2) الغزوي:المدخل الى علم الاجتماع،ص:38.

3) ابن خلدون:المقدمة،ج1،ص:68.

4) كراتوفسكي: المرجع السابق، ج1، ص169.

5) هو غير أبو بكر الرزي الطبيب الفارسي المعروف.**كراتوفسكي: المرجع السابق، ج1، ص169**.

6) هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري ولقبه البكري نسبة إلى قبيلة بكر بن وائل بن قاسط وهي من قبائل ربيعة التي دخلت الأندلس فترة الفتح العربي الإسلامي المبكر، واستقرت بها، ولم تسعفنا المصادر في تعيين مكان وتاريخ ولادة أبي

جغرافيين منهم الحميري، و الاصطخري، و صاحب الاستبصار، والزهري، وابن سعيد المغربي، لكن كان الإدريسي أغناهم وأغزهم في المعلومات جغرافية عن بلاد المغرب، وعن الجغرافيين المتأخرين كالوزان في كتابه وصف افريقية حيث يقدم لنا معلومات واضحة وكاملة لمدن المغرب الاسلامي، ونقل عنه مارمول كربخال أغلب المعلومات في كتابه إفريقيا.

أما **عن الرحلات** فقد كانت علما مكملا للجغرافيا وتعود أول رحلة لتاجر يعرف باسم سليمان البحار أو التاجر من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حيث أبحر من سيراف على الخليج العربي وبلغ شواطئ الصين، وكتب أخبار مشاهداته في البلاد التي زارها وملاحظاته عن عادات أهلها وتقاليدها، ورحلة أحمد بن ماجد صاحب كتاب" الفوائد في أصول علم البحر والقواعد"[1].

والرحلات هي نمط من الجغرافيا الوصفية التي اعتمدت إلى حد كبير على المشاهدة، ولم نجد رحلات بأتم المعنى في القرون الهجرية الأولى، ولكن بدءا من القرن السادس الهجري، قام العديد من الرحالة بزيارة سواحل بلاد المغرب ومنهم أبو المطرف أحمد بن عَميرة، والعبدري، وابن الحاج النميري، والبلوي، وابن بطوطة، وابن خلدون في رحلته؛ وعبد الباسط الملطي، والقلصادي، ابن رشيد السبتي في ملء العيبة، ورحلة الفقيه علي بن محمد الجزولي التمقروتي" النفحة المسكية في السفارة التركية" المتأخرة حيث عاش في آخر عهد الدولة الزيانية والدولة السعدية، حيث أشاروا إلى العديد من مدن بلاد المغرب.

ومن أشهر جغرافيي الرحلات، وابن جبير المولود في بلنسية سنة 540هـ/1140م وقد قرأ على أبيه وعلى ابن أبي العيش، وعني بالأدب، وتقدم في صناعة القريض والكتابة وتوفي سنة614هـ/1217م) وله رحلة[2] تسمى رحلة الكناني–نسبة الى قبيلته، والادريسي(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، ت560هـ/1165م) وله كتاب"زهة المشتاق في إختراق الآفاق) كما رسم الادريسي(ق6هـ/12م) خريطة للكرة الارضية[3].

عبيد البكري.**ابن بشكوال: كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، 1966، ج1، ص287**؛ و **أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1968، ج1، ص292 وشكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج1، ص294**.

1) علي شلق: العقل العلمي في الاسلام، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1992، ص371.

2) كتب ابن جبير عن السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا وهو على شرابه، فمد يده إليه بكأس فأظهر الانقباض لأنه لم يشرب قط، فاقسم السيد ليشربن منها سبعا، ففعل مرغما، فملئت له الكأس دنانير سبع مرات، فحمل المال الى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير، ولما أظهر ذلك للسيد أسعفه في قصده. **نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1987، ص167**.

3) محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص190-191.

والرحالة ابن سعيد المغربي الاندلسي–ولد بغرناطة– له كتاب الجغرافيا، وكتاب المغرب في حلى المغرب، وكان ابن سعيد يعمل لدى وزير الموحدين ابن جامع في إفريقية، ومنها قام برحلته الحجية سنة 639هـ/1241م، وتواليف ابن سعيد كثيرة[1]، ومحمد بن محمد بن علي وينسب إلى عبد الدار العبدري المراكش الحاحي–نسبة الى مدينة حاحة بالسوس الأقصى– بدأ رحلته الحجية سنة 688هـ/1289م) [2].

ويعد ابن بطوطة(ت779هـ/1377م)[3]، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي) من أشهر رحالة المسلمين على الاطلاق، وقد قطع في ترحاله وتجواله أكثر من 75ألف ميل(أكثر من 20 ألف كلم) وعنوان رحلته المدونة"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)[4].

1) نقولا زيادة: المرجع السابق، ص169-170.

2) المرجع نفسه، ص171.

3) محمد حسين محاسنة: المرجع السابق، ص195.

4) محمد محمومد محمدين: المرجع السابق، ص24.